الباشا بهم جميعاً إلى الروم، وكان آخر العهد بهم. وقد رُوي أنه مات الإمام الحسن في الروم محبوساً في شهر شوّال سنة ١٠٢٤ أربع وعشرين وألف، واللَّه أعلم. وله أخبار حسان، استوفاها مؤلف سيرته، فمن رام الاطلاع عليها فليقف على السيرة المذكورة ليعرف مقدار هذا الإمام وسعة دائرته في المعارف العلمية.

(١٣٣)

(الحَسَنُ بن عُمَر بن الحَسَن بن حَبيب ابن عُمَر بن شُرَيْح بن عُمَر الملقب بَدْر الدين الدِّمشقيّ الحَلبيّ)[١]

ولد سنة ٧١٠ عشرٍ وسبعمائة بشهر شعبان منها، ونشأ مغرماً بعلم الأدب، وأخذ عن جماعة من الأدباء منهم: ابن نباتة. وله مؤلف في الأدب سمَّاه (نسيم الصبا) يشتمل على نفائس. واستعمل مفاصل شفاء القاضي عياض فسبكها سجعاً، وألف (درّة الأسلاك في دولة الأتراك) سجع كله يدل على مزيد اطلاعه وفصاحته. وسمع الحديث على جماعة من أعيان علماء عصره. قال ابن حَجَر: وكان فاضلاً كيساً صحيح النقل، حدّث عنه جماعة، وكان يُوقّع عن القضاة. وانقطع في آخر مدته بمنزله. وله (تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه) سجعاً. وباشر نيابة القضاء، ونيابة كتابة السرِّ. (مات) في شهر ربيع الآخر سنة ٧٧٩ تسع وسبعين وسبعمائة، ومن شعره: [من الكامل]

ألحاظهُ شَهِدتْ بأني ظَالمٌ ... وأتتْ بِخطِّ عِذارِه تذكارا
يا حَاكم الحبِّ اتَّئدْ في قِصَّتي ... فَالخطُّ زُورٌ والشُّهودُ سكَارى

(١٣٤)

(السيد الحَسَن ابن الإمام القاسِم بن مُحمَّد ابن عليّ بن مُحمَّد بن عليّ بن الرَّشيد بن أحمد ابن الأمير الحُسين بن عليّ بن يَحْيَى)[٢]

ابن مُحمَّد بن يُوسُف الأصغر الملقب الأشل ابن القاسم ابن الإمام الداعي يوسف الأكبر ابن الإمام المنصور يَحْيَى ابن الإمام الناصر أحمد ابن الإمام الهادي

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة: ٢/ ٢٩؛ شذرات الذهب: ٦/ ٢٦٢؛ النجوم الزاهرة: ١١/ ١٨٩؛ كشف الظنون: ٢٦، ٢٧٧، ١٩٥٢؛ إيضاح المكنون: ١/ ٧٩؛ معجم المؤلفين: ٣/ ٢٦٦؛ الأعلام: ٢/ ٢٠٨؛ تاريخ آداب اللغة: ٣/ ١٧٣.

(٢) ترجمته في: الأعلام: ٢/ ٢١١.

يَحْيَى بن الحُسَين بن القاسِم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحَسَن بن الحسن ابن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب سلام اللَّه عليه وعليهم ورحمته وبركاته. (ولد) بعد صلاة العشاء من ليلة الاثنين غرّة شهر شعبان سنة ٩٩٦ ستٍّ وتسعين وتسعمائة، وقرأ على جماعة من الشيوخ وأدرك حصة نافعة من المعارف، وفرغ نفسه للجهاد مع والده، فنهض بما لا ينهض به غيره، ونال من الأتراك ما لم ينله أحد، وأوقع بهم وقعات متعددة حتى استأصلهم وأخرجهم من الديار اليمنية بعد أن حارب جماعة من كبرائهم كحيدر باشا وقانصوه باشا، وأخذ جميع ما بأيديهم من مدن اليمن. ووقعاته وملاحمه لا يتسع لها هذا المختصر، وقد سرد جميع ذلك الجرموزي في سيرته، وهي كتاب حافل. ولم يكن لأحدٍ من العناية التامة بمجاهدة الأتراك ما كان له رحمه اللَّه. وأُسر في أيام والده، وحُبس بصنعاء، وبقي أياماً طائلة ثم خرج خفية، وهيّأ اللَّه له أسباب ذلك فلم يشعر به أحد. وفيه من الشجاعة والإقدام في المعارك ما يبهر العقول، فإنه وحده يقوم مقام الجيش الكثير. وقد أحاط به في قاع صنعاء أيام محاصرته لها جماعة من فرسان الأتراك المشهورين، وهم عدد واسع يزيد خيلهم على الألف فضلاً عن سائر الجيش، ولم يكن عنده إذ ذاك إلَّا أخوه العلَّامة الحُسين الآتي ذكره، ونفر يسير، فدار القتال عليه، وعلى أخيه، وما زال يصاولهم طعناً وضرباً، ويجدل شجعانهم حتى خرج من بينهم سالماً هو ومن معه من النفر اليسير. وكم أعدد من إقدامات هذا السيد الذي تقصر الأقلام عن حصر بعض مناقبه، وهو نظير المطهر بن شرف الدين أو أرفع درجة منه في الشجاعة والرياسة وحسن التدبير. وقد بلغت جيوشه في بعض المواطن نحو ثمانين ألفاً. وله في الكرم يدٌ طُولى. قال السيد عَامر بن مُحمَّد بن عبد اللَّه بن عَامِر الشهيد في «بغية المريد» أنه أعطى الشريف طَاهر الإدريسي خمسة وعشرين ألف قرش من النقد، ومن الجواهر والنفائس ما يخرج عن الفكر. انتهى. ثم بعد أن أجلى الأتراك من أرض اليمن جميعها، اختطَّ حصن الدامغ في حدود سنة (١٠٤٠) فعمره عمارة بليغة، وأجرى فيه الأنهار، وغرس في جوانبه الأشجار، وشيَّد الديار، حتى صار مدينة كبيرة. واستقر فيه حتى (توفاه) اللَّه في وقت المغرب من ليلة الأحد ثالث شوّال سنة ١٠٤٨ ثمانٍ وأربعين وألف في خلافة أخيه الإمام المؤيد باللَّه مُحمَّد بن القاسِم، ورثاه شعراء عصره بمراثٍ جيدة، منها قول بعضهم: [من الكامل]

أدَرَى الـذي يَـنـعـي إلـيـنـا مَـنْ نَـعَـى ... لَـوْ كـانَ يَـدْري مـا أشـادَ وأسْـمَـعـا
أَتُـــراهُ يَـــدْري أنَّـــه يَـــنْـــعـــي إلـــى ... كـلِّ الأنـام الـدِّيـنَ والـدُّنـيـا مَـعَـا
وَحَـيـاتَـهـمْ ومَـعَـاشَـهـمْ ورِيَـاشَـهـمْ ... ونَـعـيـمَـهـمْ هـذي الـخِـصـالَ الأَرْبَـعـا[1]

(١) الرِّياشُ: الأثاث، أو اللباس الفاخر، أو المال.

وكان موته في مدينة الحصين التي عمرها تحت حصنه المتقدم، وله نظم فمنه ما قاله في أيام اعتقاله يرغب والده في الصلح بأبيات أولها: [من الكامل]

مَـوْلَاي إنَّ الـصُّـلْـحَ أعـذبُ مَـوْرِداً فَـاسْـلُـكْ لـه جَـدَداً سَـويّـاً أَجْـردَا[1]

وهي أبيات مشهورة.

وكان يلازم في أسفاره وجهاداته القراءة على الشيوخ، والمطالعة لكتب العلم. ولازم في آخر أيامه السيد مُحمَّد بن عِزّ الدين المفتي، فقرأ عليه في الأُصول وغيرها. وقد جمع إلى شجاعته الباهرة الكرم الفائض حتى كان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر. والحاصل أنه من أعظم سلاطين الجهاد وأساطين مصالح العباد.

(١٣٥)

(حَسَنُ بن مُحمَّد بن قَلاون الصَّالحي الملك النَّاصر بن النَّاصر بن المَنْصُور)[2]

ولد سنة ٧٣٥ خمسٍ وثلاثين وسبعمائة، وسمِّي أولاً قمارى، فلما جلس على التخت قال للنائب يا أبي ما اسمي قمارى، اسمي حَسَن، فقال: على خيرة اللَّه، واستقر اسمه حسناً، وولي السلطنة بعد أخيه المظفر سنة (٧٤٨)، وقبض على حاشية أخيه، وصُودروا لتخليص الأموال، فوجد لديهم من الجواهر ما قيمته مائة ألف دينار. فلما كان يوم السبت رابع عشر شوَّال سنة (٧٥١) قال الناصر لأهل المملكة: إن كنت سلطاناً فاقبضوا هذا، فأمسك وأرسل إلى الإسكندرية. ثم ما زال يقبض الأمراء واحداً بعد واحد، فنفروا منه وركبوا عليه في سابع عشر جمادى الآخرة سنة (٧٥٢) وخلعوه وقرَّروا أخاه الصَّالح، وأُعيد الناصر في شوّال سنة (٧٥٥) واستبد بالمملكة وصفا له الوقت، ولم يشاركه أحد في التدبير، فبالغ في أسباب الطمع، واستحوذ على إهلاك بيت المال، وأكثر من سفك الدماء، وشرع في عمارة المدرسة المعروفة بالرميلة، وليس لها نظير بالديار المصرية، ومات ولم تكمل. ثم عزم على قتل بعض أكابر أمرائه، فاستعد له وتقاتلا فكانت الدائرة على الناصر فانهزم، ثم أُمسك (وقتل) في تاسع جمادى الأولى سنة ٧٦٢ اثنتين وستين وسبعمائة. وكان ذكياً مفرطاً، وله بعض اشتغال بالعلم.

---

(١) الجَدَدُ: الأرض المستوية.

(٢) ترجمته في: بدائع الزهور: ١/ ١٩٠؛ البداية والنهاية: ١٤/ ٢٨٨؛ الأعلام: ٢/ ٢١٦.